

الفروق الثقافية في الذكاء

د. محمد إبراهيم جودة هلال
أستاذ علم النفس التربوي المساعد –
كلية التربية ببنها- جامعة الزقازيق

مقدمة :

لقد كان فهم طبيعة الذكاء البشري. وابتكار طرق لتقييمه يمثلان مشكلات محورية في علم النفس منذ بدايته، ومع أن المقياس الأول للذكاء ابتكره عالم النفس الفرنسي بينيه(Binet) ، ومع أن عالم النفس الألماني شتيرن Stern هو الذي قام ببعض أفضل الأعمال المبكرة في علم النفس الفارق، فإن الباحثين البريطانيين والأمريكيين هم الذين أتوا بسرعة للسيطرة على هذا الميدان. ثم قام عدة باحثين بالولايات المتحدة وعلى رأسهم تيرمان Terman بترجمة وتطبيق هذا المقياس، وفي إنجلترا قام بيرت Burt بمجهود مماثل، كما تقدم سبيرمان Spearman بنظرية عن الذكاء ذات عاملين (عام، خاص)، ولم يقتصر ثورندايك Thorndike بهذا، إذ اعتقد بأن هناك قدرات مستقلة كثيرة وليس قدرة عامة، واستمر الخلاف طوال الجيلين التاليين، ففي أمريكا أخذ كيلي Kelley موقع ثورندايك وتلاه ثيرستون Thurstone وأخيرا جيلفورد Guilford ، وفي إنجلترا تقدم بيرت وتلاه فيرنون Vernon ، الذي دفع بنظرية سبيرمان إلى الأمام مع إجراء تعديلات عليها لتشمل عوامل أخرى ثم قام بترتيبها في تسلسل هرمي، مسيطر عليه العامل "g" ثم جاءت نظرية كاتل Cattell محتوية على كلتا النظريتين، البريطانية ذات التسلسل الهرمي، والأمريكية المتعددة العوامل، وكانت نظريته شبه هرمية، ذات عاملين عاملين عند القمة وهما الذكاء السائل (GF) والذكاء المتبلر (GC)، ثم اختفت الصياغات الحديثة لنظرية القدرات السائلة والمبتلة بعض الشيء، حيث أكد هورن Horn ، بأنه قد حدّد هوية عشرة عوامل بهذه، ونتيجة للثورة المعرفية في علم النفس، واستئصال النزعة السلوكية كنزعـة إدراكيـة، بدأ التحول من السمة إلى العملية وتركز الاهتمام أكثر بعمليات التفكير الذكي، كما جـدـ واضعـوا النظريـات المعرفـية التوجـه Cognitively oriented theories في فـهـمـ أـبـنـيـةـ الـقـرـةـ، من خـالـلـ رـبـطـ الأـدـاءـ فـيـ اـخـتـيـارـاتـ الـقـدـرـةـ بـالـأـدـاءـ فـيـ الـمـهـامـ المـصـمـمـةـ لـقـيـاسـ الـعـلـمـيـاتـ المـعـرـفـيـةـ (12-2918). ونتيجة لذلك فقد ظهر العديد من النظريـات المعرفـية في الذكاء والتي من أهمـهاـ، النظـريـةـ الـثـلـاثـيـةـ Trairchic Theory لـسـتـيرـنـبرـجـ Sternberg ، والنـمـوذـجـ الـرـبـاعـيـ لـفـؤـادـ أبوـ حـطـبـ، لـنظـريـةـ جـارـدنـ Gardner.

ونظرا لأن العالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة عـوـالـمـ مـتـمـيـزـةـ، ولـيـسـ مجـرـدـ نـفـسـ العـالـمـ بـمـعـانـ مـخـتـلـفـ (47-16) ومن المعـرـفـ أنـ فـروـقـ الأـدـاءـ بـيـنـ الشـعـوبـ يـمـكـنـ أـنـ تـنـشـأـ مـنـ القـابـلـيـةـ المـحـدـودـةـ لـقـيـاسـ الـإـثـارـةـ وـالـمـوـضـوعـاتـ، فـقـدـ تحـولـ الـبـحـثـ فـيـ عـلـمـ النـفـسـ المـعـرـفـيـ إلىـ سـلـسـلـةـ مـنـ الـمـوـضـوعـاتـ الـمـشـبـعـةـ بـالـقـافـافـةـ، وـإـيـجادـ طـرـيـقـةـ لـتوـثـيقـ وـتـثـبـيتـ حـقـيـقـةـ الـفـروـقـ الـجـمـاعـيـةـ فـيـ الـأـدـاءـ الـمـعـرـفـيـ (498-16) وـفـهـمـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ النـوـاـحـيـ الـعـقـلـيـةـ وـلـأـنـ الـثـقـافـةـ تـتـحـكـمـ فـيـ تـكـرارـ وـقـوـعـ الـأـحـدـاثـ، وـتـمـلـيـ الـوقـتـ الـذـيـ يـنـقـضـيـ فـيـ أـدـاءـ بـعـضـ الـمـهـامـ، وـتـتـحـكـمـ فـيـ مـسـتـوـىـ صـعـوبـتـهـاـ فـيـ مـخـتـلـفـ الـبـيـئـاتـ، وـلـأـنـ الـقـافـافـةـ نـظـامـ مـعـرـفـيـ مـنـسـقـ فـيـ تـصـورـاتـ جـمـاعـيـةـ، وـشـكـلـ فـرـعـيـ مـنـ أـشـكـالـ الـعـقـلـ، فـقـدـ ظـهـرـتـ الـدـرـاسـاتـ عـبـرـ الـقـافـافـةـ فـيـ الذـكـاءـ وـالـقـاءـ الـذـكـاءـ وـتـهـمـ فـيـ الـمـقـامـ الـأـوـلـ بـقـيـاسـ الـفـروـقـ بـيـنـ الشـعـوبـ، وـتـهـمـ فـيـ الـمـقـامـ الـثـانـيـ بـتـقـسـيـرـ أـسـبـابـ تـلـكـ الـفـروـقـ.

ولـكـنـ تـعـرـضـ هـذـهـ الـدـرـاسـاتـ كـثـيرـ مـنـ الـصـعـوبـاتـ الـمـنـهـجـيـةـ، فـمـنـ الصـعـبـ أـنـ نـحدـدـ خـصـائـصـ الـثـقـافـاتـ، وـأـنـ نـحـصـلـ عـلـىـ عـيـنـاتـ مـمـثـلـةـ، بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ مـشـكـلـةـ الـاـخـتـبـارـاتـ الـذـيـ تـبـنـىـ فـيـ إـطـارـ ثـقـافـةـ فـرـعـيـةـ مـعـيـدةـ (4-576)، كـذـلـكـ قـيـودـ نـظـريـاتـ الـذـكـاءـ، الـذـيـ يـفـتـرـضـ أـنـ تـنـتـطـبـقـ عـلـىـ الـجـمـيعـ فـيـ

كل مكان وهى ليست كذلك، وقد يكون من المفید لو أن هناك رأياً إفريقياً عن الذكاء ورأياً أمريكياً شمالياً، وأمريكاً جنوبياً - مثلاً. ولكن هذا لا يوجد، مما يضع الباحث الذي يحاول دراسة الذكاء في الثقافات المختلفة في مأزق يحاول أن يتغلب عليه (61-17) (وهذا ما سوف يحاول الباحث - قدر استطاعته - توضيحه).
تحديد المصطلحات...

المصدر - مجلة علم النفس - السنة السادسة عشرة - العدد الثالث والستون - يوليو / أغسطس / سبتمبر 2002

